

النصح والحكمة في مبدأ الإمام الحسين (ع)



لقد استطاع الإسلام بحنابين من الأمان والسلام أن ينشر فكرته في شتى أصقاع الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، ورفرت ألوية الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها. وهكذا كان الإسلام ولا زال دين الأمان والسلام، والسكنينة والصفاء، والمودة والإخاء، ولم يكن في وقت من الأوقات دين حرب وخصام، أو مشاجنة وبغضنا، إنما كان يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى السلام، حتى أنَّ (الإسلام) في لفظه مشتقٌ من واحدة مع السلام. من هذا المنطلق الإسلامي الكبير، فقد كان النبي ﷺ داعية سلام، وكذلك كان الإمام علي (ع) وعلى نهجهما سار الإمام الحسين (ع) يدعو إلى الإسلام والسلام والهداية والوئام، ولم يكن داعية حرب وقتل كما هو شأن من يطلب الإمارة والسلطان، وإنما كان داعية هداية وحقٍّ، ليتمثل النفوذ والوجودان، قبل أن يمتلك الأجداد والأبدان يقول (ع): "إنِّي لَمْ أُخْرِجْ أَشْرَارًا وَلَا بَطَرِّارًا، وَلَا مُفْسِدًا وَلَا طَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ أَطْلَبَ الْإِصْلَاحَ فِي أُمَّةٍ جَدِّي مُحَمَّدٌ (ص)، أَرِيدُ أَنْ أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِي عَنِ الْمُنْكَرِ". حيث لم يكن الحسين (ع) يريد القتال، ولكنه فرض عليه فرضاً، وهذا القتال إن كان في ظاهره الحرب والقتل، فإنه في باطنه يعني تخلص المؤمنين من أشرار الأمة وتحريرهم من الظغابات. وكان قربان ذلك التحرير هو الإمام الحسين بن علي (ع)، ولو لا هذا التطهير والتحرير ما بقي للإسلام والمسلمين حول ولا طول، ولما كنا نحن مسلمين اليوم، فبنور الحسين أضاءت المشاكل في طريقنا، ومن دم الحسين نبتت الهدایة في نفوسنا. سار الإمام الحسين (ع) إلى العراق على نهج جده وأبيه (عليهما السلام)، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة: (ادْعُ إِلَيْنِي سَبِيلَ رَبِّكَ حَكْمَةً وَالْأُمْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ وَجَادِلْهُمْ بِالْحَقِّ هِيَ أَحْسَنُ) (النحل/ 125). ما الفرق بين الحكمة والموعظة؟ قال بعضهم: إنَّ الحكمة تُعلَّم الناس شيئاً لا يعرفونه فتهديهم به. أما الموعظة فهي أن تذكرهم بما يعرفونه فترشدهم به. أما الجدال الحسن فهو الذي يكون هدفه الوصول إلى الحق، وليس فرض الرأي على الشخص الآخر، وذلك بأسلوب من اللطف والاحترام المتبادل، واعتلى يقول: (وَلَوْ كَذَّتْ فَطَّلَّا غَلَّبَتْ الْقَلَّبَ لَازْفَحَهُ وَمَنْ حَوْلَكَ) (آل عمران/ 159). وقد رکز الحسين (ع) دعوته على مبدأين رئيسيين: الأول: أن لا يواجه أحداً حتى يبيّن له الحق ويدعوه إليه، ويبين له خطأه طليباً لهدايته، وإقامة الحجة عليه ومن ذلك نصائحه ونصائح أصحابه لأهل الكوفة قبل بدء القتال، الثاني: أن لا يبدأ بالقتال حتى يكون عدوه هو البادئ به لأنَّ البادئ هو المسؤول عن كل الدماء الحائلة. وقبل أن يصل الحسين (ع) إلى كربلاء، وكان أصحاب الحر بن يزيد قد منعوه من نزول نينوى، قال له زهير بن القين رضوان الله عليه: "يا بن رسول الله ذرنا نقاتل هؤلاء القوم، فإنَّ قاتلنا إياهم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا معهم بعد هذا، فلعمري ليأتينا من بعدهم مالا قيَّل لنا به". فقال له الحسين (ع): "صدقَتْ يا زهير، ولكن ما كنتُ لأبدأهم بالقتال حتى يبدأونِي". ثمَّ وصل الحسين إلى كربلاء، فخيَّم هناك، وجاءه الجيوش بقيادة عمر بن سعد لقتاله، فلم يتowanَ عن إداء النسمح لهم، طمعاً في هدايتهم. فأول ما عمل طلب الاجتماع برئاستهم عمر بن سعد، فلما التقى قال له (ع): "ويحك يا بن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقا تلني وأنا ابن من علمت. يا هذا ذر هؤلاء القوم وكُن

معي فإذاً أقرب لك من ذلك، فقد مله ابن سعد أعداداً واهية، ردّها عليه الإمام، وحانت لابن سعد فرصة ثمينة من الهدایة لكنه لم يرعَ وـ، لأنّه أحب الدنيا وفضلها على الآخرة، وحبّ الدنيا كما قال أمير المؤمنين (ع) : "رأس كلّ خطيئة". ولما لم تنفع الموعضة في قائدتهم، قال الحسين (ع) : "دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو أذهب في هذه الأرض العريضة، حتى ننظر إلى ما يمirs أمر الناس". المسافة شاسعة والأرض مديدة ورمال الصحراء توقدها حرارة الشمس اللايفة وقطار الحسين (ع) يخترق قلب الصحراء ويختار كثبان الرمال ولوافح الحمى. وهكذا سارت كواكب الفداء وطلائع الجهاد تيمم وجهها شطر البيت الحرام لتنتهي إلى أرض الطفوف كربلاء، إلى مثوى الخالدين ومنابر الأحرار، يقودها الحسين سالكاً الدرب الذي اعتاد الناس سلوكه متحدياً السلطة والقوة والمطاردة.